مجلة التحليل والاستشراف الاقتصادي ISSN : 2716-9502
المجلد: الخامس العدد: الأول السنة: 2024 ص : 104- 130

تاريخ الإرسال: 2024/8/25 تاريخ القبول: 2024/04/30
تاريخ النشر: 2024/09/18

الابعاد الاقتصادية والامنية لتمصير الكوفة

Economic and security dimensions of the Egyptianization of Kufa

الاستاذ المساعد الدكتور. محمد عبد النافع الغلامي

Assistant Professor Dr.Muhammad Abdel nafia Al-Ghalami

الجامعة العراقية –كلية الادارة والاقتصاد – قسم العلوم المالية والمصرفية،
dr.mohamednafai@gmil.com

Iraqi University – College of Administration and Economics
department of Bankin and Financial sciences,
dr.mohamednafai@gmil.com

الملخص:

جاء الاسلام ليهتم بالإنسان في حياته وصحته وكرامته ويتعداها الى ابعاد وغايات اخرى كنشر العدل والمساواة وتحقيق الامن والرفاه الاقتصادي فضلا عن توجيهه نحو عبادة الله الواحد الاحد. وعليه تم التوجه والانتشار خارج الجزيرة العربية ضمن عمليات التحرير والفتح لتتجاوز اراضي الشام والجزيرة العربية ومصر وكذلك العراق حتى بلغ انتشار الاسلام لبقاع عديدة من العالم ولذلك ونظرا للطابع الظرفي والمؤقت لعدد كبير من الاقاليم المتوزعة في كل بقاع العالم والتي شكلت محطة اهتمام لولاة الامر ارتاينا تسليط الضوء على توجهات الدولة الاسلامية في اقامة المدن وتمصير الامصار فكان في مقدمتها الكوفة.

الكلمات المفتاحية :(الكوفة ,الجوانب الاقتصادية.الامصار)

Abstract:

Islam came to care for man in his life, health, and dignity, and goes beyond them to other dimensions and goals, such as spreading justice and equality, achieving security and economic well-being, as well as directing him towards the worship of the One and Only God.

Accordingly, it was directed and spread outside the Arabian Peninsula as part of the operations of liberation and conquest, to go beyond the lands of the Levant, the Arabian Peninsula, Egypt, and Iraq, until the spread of Islam reached many parts of the world. Therefore, in view of the circumstantial and temporary nature of a large number of regions distributed in all parts of the world, which constituted a station of interest for the rulers, we decided to highlight On the trends of the Islamic State in establishing cities and destining the regions, the forefront of which was Kufa.

Keywords: Kufa, economic aspects, dimension, cities.

المقدمة:

تعد الكوفة من الامصار المهمة التي اسسها العرب المسلمون خارج الجزيرة العربية ضمن انتشار الاسلام في ربوع الارض شرقها وغربها ، هدف البحث الى ابراز مكانة الكوفة الجغرافية والتي حظيت باهتمام الخليفة والقادة وتوجهاتهم الفكرية والامنية والعمرانية.

وعلى هذا الاساس جاءت اهمية البحث لتسليط الضوء على اسباب ودوافع تمصير الكوفة فضلا عن بيان طبيعة النشاط الاقتصادي فيها، ولاجله انطلقت فرضية البحث من الاتي:

ان تمصير الكوفة كان لدوافع عسكرية واقتصادية فضلا عن الدوافع السياسية التي فرضتها المرحلة ، ولاجل البرهنة على الفرضية تم صياغة عدد من التساؤلات سنحاول الاجابة عنها في متن البحث وكما يلي ابرز هذه التساؤلات :

1-ماهي حدود الكوفة, وما معنى اسمها؟

2-ماهي اوجه النشاط الاقتصادي في الكوفة؟

3-ماهي اسباب تمصير الكوفة؟

4-ماهي اسباب انتقال العاصمة من المدينة المنورة الى الكوفة ؟

وللاجابة عن هذه التساؤلات , تم الاستعانة بالمنهج الاستباقي لاستكمال متطلبات البحث .فضلا عن الاستعانة بعدد من المقاربات البحثية الاخرى كالمنهج الوصفي والمنهج التحليلي في البحث.

وعليه تم تحديد حدود الدراسة ,اذ تضمنت الحدود الزمانية للبحث مابعد وصول طلائع الجيش الاسلامي للعراق فضلا عن الحدود المكانية التي تمحورت بالكوفة وموقعها وحدودها , فيما وضحت الحدود الموضوعية للبحث حول اسباب تمصير الكوفة وانتقال العاصمة لها.

وعليه تم تقسيم البحث الى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة حيث تضمن المبحث الاول تسليط الضوء على كل مايتعلق بالكوفة من حيث التسمية والموقع .

اما المبحث الثاني فيتعلق بالنشاط الاقتصادي للكوفة فتعرفنا على اشكال الصناعة ثم استعرضنا الجانب الزراعي فيها ثم بينا التجارة الداخلية والخارجية لها.

في حين تضمن المبحث الثالث توضيح اسباب تمصير الكوفة وانتقال العاصمة من المدينة المنورة اليها.

فيما ركزت الخاتمة على جملة من الاستنتاجات والتوصيات اعقبها سرد المصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها .

المبحث الاول :الكوفة

اولا: معنى الكوفة

وردت اسماء عديدة لمدينة الكوفة واسباب هذه التسمية , فقد قيل انها سميت الكوفة نسبة الى تل صغير في وسطها يقال له كوفانة (البلاذري:1987,ص375)

وقد قيل ان المواضع المستديرة من الرمل تسمى كوفاني,وبعضهم يسمي الارض التي فيها الحصباء مع الطين والرمل بالكوفة .ويقال :ان الكتوف يعني الاجتماع (البواقي:1987,ص142) والكوفان الاستدارة , وكوفان اسم ارض وبها سميت الكوفة , وكوفان والكوفة واحد(الحموي:1977,ج4, ص490) ويذكر ان الخط الكوفي يرجع في اصوله الى الخط الحبري, وان السريان كانوا وثيقي الصلة بالثقافة الاغريقية ,وان كثيرا من عرب الحيرة قد نفذوا الى هذه الثقافة ,بعد ان تعلموا السريانية ومن ثم انتقلت هذه الثقافة الى الكوفة .بعد ان مصرت في عام (17هـ/638م)(الدينوري:2002.ص10)

ثانيا: الكوفة وحدودها:

الكوفة مدينة عراقية تطل على ساحل نهر الفرات , ومصرها الصحابي سعد بن ابي وقاص بعد وقعة القادسية سنة (17هـ/638م) بامر الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رض)(13هـ-25هـ/624م-636م)(عبد الرزاق:1974.ص12)

حيث اشار اليها الطبري(الطبري:1976.ج2,ص448) في تاريخه بالقول: :ففيها اختطت الكوفة ,وتجول سعد بالناس من المدائن اليها .وكان الطبري حين ذاك قد حدد الموقع الجغرافي لمنطقة (ظهر الكوفة)بالمنطقة الواقعة وراء الخندق(الطبري:مصدرسابق,ج9,ص298)

واشار بعض المؤرخين والجغرافيين الى اطلاق تسمية (ظهر الحيرة)على منطقة النجف في عصر ما قبل الاسلام ,مع ان اهمية الحيرة قد تضاءلت شيئا فشيئا. بعد ان مصرت الكوفة واستقر كثير من العرب المسلمون فيها. ومن ثم اضحت عاصمة للخلافة ومدرسة للعلوم الاسلامية وعلوم اللغة العربية وادابها,لذا بدا مصطلح (ظهر الكوفة)يحل تدريجيا محل مصطلح (ظهر الحيرة)(الشرقي:لا.ت,ج4.ص146)

نشات مدينة الكوفة (المركز)في ارض سهلية قي الجانب الغربي من نهر الفرات الى الشمال الشرقي من مدينة الحيرة في موضع عرف قديما بسورستان (عبد الرزاق:1974.ص12) في حين موضع ظهر الكوفة قد عرف ب نجد العذراء(البغدادي:1992.مج1,ص453),وبناءا على تعليمات الخليفة الى قائد فتح ارض العراق في ان يتخذ دار الهجرة ومنزلا بريا بحريا للجيوش الاسلامية التي فيها ,وان لا يجعل بينه وبينهم بحرا او جسرا(البلاذري:مصدر سابق,ص39)

وشدد الخليفة بان يكون اختيار الموقع صحيا لا سيما بعدما عاناه المقاتلون حينما استقروا اول الامر في المدائن من ارض العراق حيث رخومة المدينة لقربها من نهر دجلة فكتب

الخليفة لسعد ان العرب لا يوافقها الا ما وافق ابلها من البلدان (الطبري:مصدر سابق,ح2,ص449) وبذلك يكون الخليفة هو من حدد الشروط والضوابط التي جرى على اساسها اختيار موقع المدينة والتي استندت على قاعدة عسكرية في ان يكون انشائها مأوى المقاتلين وعوائلهم وان تكون في ذات الوقت مركزا اداريا للمناطق المجاورة التي سيطر عليها الجيش العربي الاسلامي وكذلك تكون واسطة لارسال الاوامر والنجدات العسكرية من مركز الدولة في شبه الجزيرة العربية الى المناطق المفتوحة (حسين:1977,ص33) فضلا عن رغبته في ان يبتعد العرب عن المدن الموجودة في المناطق المفتوحة كي لا يتاثروا بما فيها من حياة اجتماعية لا تتناسب مع العادات الاسلامية من ترف ونعومة عيش(المرسومي:1982,ص89)لا سيما ان واجب المقاتل العربي الاساس هو نشر الرسالة الاسلامية ,وتنفيذا لتعليمات الخليفة نزل سعد بن ابي ابي وقاص بموضع الكوفة متوسطا ما بين الحيرة والفرات (الطبري: مصدر سابق,ج2,ص450) في ارض مرتفعة منبسطة خالية من الاستيطان البشري(الجنابي:مرجع سابق,ص58) وبعيدة عن المسطحات المائية كالأهوار والمستنقعات الحاوية للبعوض والحشرات , ثم انه شرع في تخطيط المدينة الى سكك ومناهج بحسب التعليمات التي ارسلها اليه الخليفة عمر (رض) حيث امر بالمناهج ان تكون اربعين ذراعا ( )

وما يليها ثلاثين ذراعا وما بين ذلك عشرون ذراعا , وامر ان تجعل الازقة سبع اذرع , والقطائع ستين ذراعا الا الذي لبني حنية(*).وعلى ذلك اجتمع اهل الراي للتقدير ونفذ على ارض الواقع .(الطبري : مصدر سابق,ج2,ص451)

لم تحدد المصادر التاريخية الرقعة الجغرافية التي شغلتها الكوفة كمركز للمدينة في بداية نشاتها لعدم توفر المعلومات المضبوطة عن ذلك .الا ان هناك دراسات توضح وتقدر مساحتها من باب التخمين من انها اقيمت في رقعة صغيرة قطرها الكيلومترين مستندين

بذلك على ان المسجد الجامع ودار الامارة لا يتعدى بنائهما عن نهر الفرات الا كيلو متر مربع واحد تقريبا (الجنابي : مرجع سابق , ص39)

كانت بيوت الناس عبارة عن اكواخ مشيدة من القصب في بداية تكوين المدينة ,غير ان هذا التوجه في البناء بدا يتغير عندما ثبت عدم ملائمته للعيش والسكن والتمدن العمراني الذي شهدته المدينة الجديدة لا سيما بعد ان التهم حريق هائل معظم البيوت .فاستاذن سعد الخليفة عمر في ان تبنى البيوت باللبن بدلا من القصب فاذن له بذلك على ان لا يتجاوز ارتفاع البناء الواحد عن ثلاثة طوابق(الطبري:مصدر سابق,ج2,ص450) وما لبثت ملامح المدينة الجديدة ان ظهرت شيئا فشيئا بمرور الزمن متاثرة بالنشاط الاقتصادي المزهر بالولاية وتطور جميع نواحي الحياة فيها ,فشملها التطور العمراني والتوسع السكاني واتضح ذلك بصورته الدقيقة في ولاية المغيرة بن شعبة (22هـ/642م)حينما بدا السكان يشيدون منازلهم بالأجر ,ثم استكملت الولاية مقوماتها كمدينة في امارة زياد بن ابيه سنة (50هـ/970م)حيث سجل فن العمارة تقدما ملحوضا ابانت ولايته .حينما اصبح الأجر المادة الرئيسية في البناء فتم بناء المسجد الجامع في الولاية وادخال التعديلات عليه(الطبري:مصدر سابق,ج2,ص450)

لقد كان دار الرزق يقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات عند راس الجسر المنصوب على النهر في الجهة الشرقية من المدينة, وقد بناها المسلمون لتكون مخزنا كبيرا لجمع غنائم الحرب(البراقي:مرجع سابق,ص147)وكذلك لجمع اموال الصدقات من اجل توزيعها على المقاتلين(ماسينيون:) والذي تحول تدريجيا الى مركز تجاري هام في الكوفة (الزبيدي:1970,ص161)

هذا من الشرق اما من الغرب فتقع فيها محلة الكناسة متوسطة مسجد الكوفة ومسجد السهلة في طرف البادية(المقدسي :د.ت,ص32) وكانت لبني اسد ثم صارت سوقا ومحطة تجارية

برية للعرب,ويقع الخندق او الحفرة المعروفة ببمسناة جابر في جهة المدينة الشمالية وهو ضمن محلة بني مزينة (ماسينيون:مرجع سابق,ص70)

وعدت مدينة الحيرة حدا من حدود الكوفة (المركز)من جهتها الجنوبية الغربية(الجنابي:مرجع سابق,ص11) فيما يحد ها نهر البويب من جهتها الجنوبية الشرقية(ماسينيون:مرجع سابق, ص70)

على ان للكوفة ضواحي () عديدة في المنطقة المعروفة بسواد الكوفة وهي تشكل مع سواد البصرة منطقة سواد العراق سوداوان ,سواد البصرة وسواد الكوفة .(الحموي:مصدر سابق,ج3,ص293)

وكذلك تطور مفهوم السواد مع بقاء وثبات المسلمين في البقع الاسلامية فاصبح يتبع في المدن المجاورة بها ويسمى باسمها فاصبح يعني عموما بالاراضي الزراعية والمناطق المحيطة بالمدن وهي ريف المدينة الذي يحمل اسمها _(ابراهيم:1988,ج2,ص4)

احيطت مدينة الكوفة المركز بمجموعة من طساسيج سواد العراق الموجودة قبل نشاة المدينة وهي ضواحيها مثل طساسيج البهقاذات الاعلى والاوسط والاسفل(ابن خرداذابة :لا.ت,ص7) ويحفظ بها طسايج ضواحيها فمن جهتها الشمالية يمتد طسوج استان المال ويقع ضمن حدوده الادارية طسوج مسكن وقطريل (*) وبادوريا(*) والانبار(*)(البكري:1984,ج2 .ص572) وينتهي الامتداد الاداري لضواحي الكوفة الشمالية عند طسوج مسكن لانه راس الحد بينادقيان السواد وارض تكريت.(الحموي:مصدر سابق,ج1,ص319)

واما جهتها الجنوبية والجنوبية الغربية فتقع طسايج كورة القهباذا الاسفل –فرات زبادقلي0الحيرة.السيحلين–وتنتهي اعمال هذه الكورة ببارق وهي من اعمال القادسية في الكورة والحد الفاصل بين القادسية وولاية البصرة(ابن خرداذابة:مصدر سابق,ص129)

وتتاخم حدود الضواحي الجنوبية اراضي نجد .فما ان تخرج من ارض العذيب وهي من اعمال البهقباذ الاسفل وحد السواد فيها حتى ندخل ارض نجد(ماسينيون: مرجع سابق,ص33) ويقع طسوج الجبة والبداة الى الجهة الشرقية من الكوفة (ابن خرداذابة:مصدر سابق, ص8) وهو من اعمال البهقباذ.الاوسط (الحموي: مصدر سابق,ج3,ص79) كما تقع طسوج روستقباذ من كورة استان شادقيان الى الشرق من الكورة ايضا . ونجد ان بادية السماوة تشكل الحدود الغربية لضواحي الكوفة وتفصلها عن الشام (الحميري:1975,ص322)

المبحث الثاني: النشاط الاقتصادي في الكوفة

تمتعت الكوفة بازدهار اقتصادي كبير,فقد ضمت في ربوعها اراضي زراعية خصبة تنوعت في منتجاتها الزراعية.كذلك شهدت تطورا صناعيا تبعا لحاجة المجتمع المتطور من السلع والخدمات فضلا عن ان موقعها الستراتيجي الجيد قد جعلها ثغرا من ثغور البادية ومحطة لتبادل البضائع والسلع داخليا وخارجيا وملتقى القوافل التجارية المارة فيها او القادمة اليها من شبه الجزيرة العربية ومصر والشام.

1- الزراعة :

تعد الكوفة جزا من سواد العراق وهي تشمل ما حوالي الكوفة والرساتيق(ابن منظور:ج7,ص294) وكان المسلمون قد بذلوا جهودا استثنائية في سبيل احياء الاراضي الزراعية بعد استقرار الاوضاع فيها.لا سيما وان معظم تلك الاراضي

والمشاريع الاروائية فيها قد تعرض للتخريب على اثر انشغال لبفرس في حروبهم مع العرب المسلمين الفاتحين.

(البلاذري: مصدر سابق,ص410) وكانت توجهاتى الدولة في ذلك كبيرة فنجد الخليفة عمر(رض) قد وجه باستصلاح الاراضي التي لا مالك لها والتي تم استصلاحها لبيت المال لغرض تعميرها واحيائها (الطبري:مصدر سابق,ص443) كما لم تقف الدولة بوجه من يريد استصلاح الاراضي من العامة او الخاصة من افراد الكوفة او غيرهم , ومما لا شك فيه ان لهذه الاجراءات صداها الايجابي الواسع على المستوى المعيشي للفرد لاسيما المزارعين منهم الذين استفادوا ماديا من ذلك . تومن ذلك اجراءات الوالي زياد بن ابيه الذي كان يقطع الاراضي للخاصة والعامة ما مساحته ستين جريبا (*) ويشترط على من يقطعه ان يدعه سنتين فان عمرها واصلها اصبحت له والا اخذت منه.(البلاذري:مصدر سابق,ص505)

كانت سياسة الدولة في فرض الضرائب واضحة على المزارعين منذ البداية(لا سيما اهل البلاد الاصليين من الفلاحين) وهي ان يتم ترك الارض بايديهم لزراعتها مع قيامهم باعمال اخرى يفترض ان تحقق نفعا للدولة كاصلاح الطرق ومد الجسور والعمل في الاسواق (الطبري: مصدر سابق,ج2,ص444) لانهم كانوا يبيعون المحاصيل بانفسم . ويدفعون للدولة مايجب عليهم . فكان تخفيض الضرائب المفروضة له واقع قوي عن الفلاحين لتشجيعهم على الزراعة من جهة ودفع ما بذمتهم من جهة ثانية وعدم التهرب منه. وهذا الاجراء خفف عن كاهل الفلاحين واصحاب الاراضي ولا شك انه حسن من وضعهم الاقتصادي ومستوى معيشتهم.

لقد قرر الخليفة عمر (رض)بفرض الخراج على ملاك الاراضي سواءا زرعت ام لم تزرع دافعا قويا لمزاولة الفلاحين للزراعة وعدم تركها من جهة وضمان مورد مالي للدولة من جهة ثانية . حيث بلغت واردات الدولة من الكوفة وقتها مائة الف الف وثمانية وعشرين درهم(الصولي:1994,ص240)

واستقرت على ذلك في عهد معاوية بن ابي سفيان فجي ء واليه على الكوفة زياد بن ابيه بمائة الف الف من اراضي السواد في البصرة والكوفة منها اربعون الف درهم من اراضي الكوفة وحدها (البلاذري:مصدر سابق.ج5.ص227) وكانت عملية نجاح واستقرار هذا النظام(الخراج)قائمة على استقرار نظم الري وصلاحية الاراضي الزراعية وتوفير ايدي عاملة في الزراعة وثبات استقرار الاسعار (العلي:1969,ص223) وظل هذا النظام معمولا به حتى عهد الخليفة العباسي المهدي(158-169هـ/774-785م) الذي امر بتغيير نظام جباية الضائب من نظام المساحة الى تطبيق نظام الخراج بالمقاسمة حيث لم يعد نظام الجباية القائم يجدي نفعا مع تغير الاوضاع الاقتصادية التي اسهمت في انخفاض مستوى الاسعار فلم تفي الغلات والعوائد الزراعية بتسديد مقدار الخراج المفروض على الارض(ابن رجب الحنبلي: 1985.ص118)

2-الصناعة:

عدت الكوفة وضواحيها من المدن المزدهرة صناعيا وقد ترك الازدهار الصناعي اثره الواضح على مجتمع الكوفة ,الذي امتهن العديد من افراده مهن وحرف مختلفة. فضواحي الكوفة كانت مركزا من المراكز القديمة (قبل تمصير الكوفة)

لصناعات متنوعة مثل المنسوجات والصناعات الخشبية وصناعة الادهان والعطور وغيرها من الصناعات التي لاحها التطور الذي شهدته المدينة عموما. فبعد تمصير الكوفة واختلاط العرب المسلمون الذين استقروا فيها باهل البلاد الاصليين ونتيجة التلاصق الثقافي والحضاري بين افراد اهل الكوفة قد جعل ذلك يتاثرون بترف العيش ويميلون الى الاعتناء بمظهرهم وملابسهم(الزبيدي:ص191) فاسهم ذلك في ازدهار صناعة المنسوجات في الكوفة وضواحيها لا سيما وان المنسوجات الكوفية قد تميزت بجودتها نظرا لبراعة النساجين الكوفيين واتقانهم لعملهم فضلا عن كثرة اعدادهم . ناهيك عن الرقابة المحكمة التي خضعت لها الصناعة عموما في الكوفة عن طريق المحتسب (الفاضلي :2001,ص175)

وقد تميزت مدن بعينها بمنسوجاتها وتبوات الحيرة (من ضواحي الكوفة)مركز الصدارة في ذلك بما تواجد فيها من نساجون امتهنوا نسج الاقمشة من القز والكتان والصوف وصنعوا تلك الموشاة بالقصب والمطرزة بالذهب(غنية:1996,ص83) هذا وقد وصفت مدن اخرى مثل مدينة قصر ابن هبيرة (*) بانها كثيرة الحاكة واليهود(المقدسي: مصدر سابق.ص121) ويعتقد ان الثياب المعروفة باليهودية ربما صنعت في هذه المدينة(ناجي:1970,ص279)

كذلك صنعت هذه النعمانية من ضواحي الكوفة الثياب والاكسية العسلية والصوفية (الحموي: مصدر سابق,ج5,ص280) واما الثياب النرسية فقد اشتهر نساجو نرس من ضواحي الكوفة بعملها(الحموي: مصدر سابق, ج5,ص280)

ومن الصناعات التي كان لها تاثير على الحياة الاجتماعية في الكوفة صناعة الخزف التي اسهم انتشار الدين الاسلامي في ترويج اقتنائها عوضا عن استعمال

الاواني الذهبية والفضية .التي حرم الاسلام تناول الطعام والشراب فيها(مرزوق:1964,ص109)

كما خدمت الصناعة مجال الاعمال في البناء والتشييد فقد اثبتت التقنيات الاثرية في موضع الكوفة عن انتشار صناعة القاشاني المزجج واستخدامه في البناء (مصطفى:1965.العدد12,ص1)

وهناك ايضا الصناعات الخشبية التي اشتهرت بها الكوفة وضواحيها لوفرة الموارد الاولية من الاخشاب على اثر انتشار البساتين واشجار النخيل فعملت الاقداح من الخشب في منطقة دير الجماجم من ضواحي الكوفة(ابن عبد البر: 2002, ص267) فضلا عن ان لاهل الحيرة وسكانها كان لهم شهرة في اعمال التجارة الخاصة في مجال العمارة وبناء القصور والبيع والاديرة واعمال التجارة الخاصة بالمفروشات المنزلية(غنية:ص85)

ولصناعة العطور والادهان نصيب من الازدهار في الكوفة لاسباب منها ميل اهل الكوفة لا سيما الميسوري الحال الى التعطر واقتناء الفاخر من العطور والادهان على اثر انغماسهم في حياة الترف ونعومة العيش فضلاعن وفرة المادة الاولية لصناعتها في المزارع والبساتين المنتشرة في ضواحي الكوفة والمزوعة بالازهار والرياحين ومختلف انواع الورود كالبنفسج والخزامي والاقحوان والشيح والقيصوم والشقائق والزعفران (البلاذري:مصدر سابق,ص390)

وعد دهن البنفسج والخيري من اجود الادهان العطرية التي اشتهرت ضواحي الكوفة بصناعتها وصدر اهل الكوفة منه الى معظم الاقاليم المجاورة الاخرى(ابن حوقل :1992, 261)

شهدت بصناعة الذهب تطورا ملحوظا لا سيما بعد اتساع نطاق حركة الفتوحات الاسلامية وتدفق الغنائم على المقاتلين المسلمين وفيها من الذهب والفضة والاحجار الكريمة

الشي الكثير . وقد تعاملت الدولة العربية الاسلامية معها بحذر شديد ووزعت على المقاتلين وفق خطة منظمة ومدروسة وتحت اشراف مختصين عينتهم الدولة تولوا جمعها وقبضها وتوزيعها وفقا لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم (الطبري:مصدر سابق,ج2,ص438)

على ان تدفق هذين المعدنيين بكثرة ساهم في تطوير حرفة الصياغة وروادها لاقبال الناس لاسيما النساء على ارتداء الحلي الذهبية فصنعت لهم الاكاليل والاساور والخلاخيل والمعاضد والقلائد والعقود والخواتم كما صنعت العديد من الادوات المنزلية من الذهب والفضة واقتناءها الاغنياء كمظهر من مظاهر الترف(الزبيدي: مرجع سابق ,ص205)

ومن الصناعات الاخرى صناعة الاثاث المنزلي كالسجاد والبسط والحصير , فكانت البسط الحصيرية ذات الشهرة القديمة واسعة الانتشار (غنيمة:مرجع سابق,ص83)

وكان لإجراءات الدولة المالية في الكوفة اثره في تخفيف كاهل اهل الصناعات ودوره في الازدهار للصناعة وانتشارها لا سيما غير المسلمين منهم الذين كانوا يدفعون ضريبة الجزية التي يلتزم اهل الذمة باداءها للدولة العربية الاسلامية (ابن سلام : ص40) نظير توفير الحماية لهم والخدمات فقد كان من الجائز ان تستوفى الضرائب بشكل مواد عينية بدلا من الدراهم كما حصل حين امر الخليفة عمر (رض) بان توخذ جزية رعية اهل الكوفة من اهل كل صناعة من صناعتهم بقدر ما فرض عليهم , وعلى نهجه سار الخلفاء من بعده(اليعقوبي :2003 ,ج2,ص198)

3-التجارة الداخلية والخارجية: لقد تمكنت الكوفة بفضل موقعها المتميز بان تكون ثغرا من ثغور البادية ومحطة من محطات الحج وما تبقى القوافل التجارية القادمة من شبه الجزيرة العربية (ابن رستة:ص165)

زاد حجم التجارة بفضل عوامل اخرى فضلا عما سبق ومنها زيادة المنتجات الزراعية والصناعية وتبادل الفائض منها فضلا عن ارتباط الكوفة مع المدن المجاورة بشبكة من الطرق البرية والنهرية . فالبرية منها جزاءا من طريق الحج الرابط بين بغداد ومكة والذي كان لا بد من المرور بالكوفة وضواحيها(ابن خرداذابة :مصدر سابق :ص99) ومن ابتغى واسط اتجه نحو دير العاقول والنعمانية.(ابن رستة: مصدر سابق, ص169)

كما ارتبطت الكوفة بشبكة من القنوات المائية التي استخدمت كوسيلة نقل سريعة ورخيصة الثمن والكلفة لنقل السلع والبضائع والاشخاص بين المركز وبقية المدن والضواحي فضلا عن ان المنطقة قد حازت على العديد من الجسور (البلاذري: مصدر سابق,ص351) والقناطر والمسنيات والمعابر(الطبري: مصدر سابق,ج4.ص219) والتي ربطت القرى والمدن معا , فضلا عن الاهتمام الكبير على اهمية التجارة الداخلية والخارجية من خلال الاجراءات التي كان لها دورها في الحفاظ على سلامة القوافل التجارية المارة بها من السرقة والاعتداء من قبل قطاع الطرق وتخويفهم بالعقاب الرادع لهم, ومن الاجراءات المتخذة في ذلك نجد السلطة قد استعانت بالقبائل لحماية الطرق والاسواق وتشير في هذا الجانب استعانة واوامر والي الكوفة زياد بن ابيه بان جعل صلحاء كل ناحية ومن له وجود كبير فيها ضامن للطريق اطار بديارهم وحد لكل منهم حدا وحملهم مسؤولية تلك المنطقة وجعلها تحت اشرافهم حتى بلغ الامر من الامن والاستقرار مبلغه في عهده(ابن عبد ربة:ص21)

المبحث الثالث: مكانة الكوفة

1-اسباب تمصير الكوفة

يتضح جليا ان المسلمون بعد فتحهم للمدائن واستقرارهم فيها لم يتكيفوا مع المنطقة ويبدوا ان البنية الجغرافية لهذا الاقليم لم تتناسب مع ما لقيه العرب من جو صحراوي مفتوح فشجن لونهم ,فلما وقف الخليفة على ذلك كتب الى قائده سعد يامره بان يتخذ للمسلمين دار هجرة يقيمون فيه وان يختار مكانا مناسبا بحيث لا يكون بينهم وبينه بحرا ولا جسرا (الطبري: مصدر سابق,ج4,ص40) وانما اراد الخليفة عمر (رض) ان يحقق اهدافا لعل اهمها :

–ان تكون المكان المختار لمقام هولاء العرب جافا كالبادية وتجري فيه مع ذلك المياه الصالحة للشرب.

–ان تكون المدينة الجديدة قاعدة متقدمة لامتداد بشري للفاتحين بحيث لا يحول بحر ولا جسر دون ارسال المدد الى الجند المقيمين في هذه المنطقة اذا احتاجوا الى ذلك يوما ما.

–ان يشكل الموضع مركز انطلاق عسكري يساعد على تثبيت اقدام المسلمين في البلدان المفتوحة .

نزل القائد سعد في الانبار وقرر اتخاذها مقرا لكن كثرة الذباب اضطره النزوح الى كويفية عمر فلم يجدها كما يرغب فكتب الى الخليفة للوقوف على رايه فامره الخليفة بارسال رائدين يرتادوا منزلا بحريا بريا ليس بينهم وبينه مانع فبعث سليمان وحذيفة (الطبري: مصدر سابق, ج4, ص41) واختاروا مكانا بين الحيرة والفرات فنزله بالمسلمون في (محرم 17هـ/638م)وضربوا طباقا في بادي الامر حتى يظلوا متاهبين للجهاد, ويبدوا ان هذه كانت رغبة الخليفة حتى لا يلجا المسلمون الى الدعة, ثم اذن لهم بعد ذلك بان يقيموا بيوتا من القصب والقش ولكن حريقا شب فالتهم معظم البيوت , فطلب المسلمون من الخليفة ان ياذن لهم باعادة البناء باللبن , فاذن لهم بشرط الا يتطاولون بالبنيان (الطبري: مصدر سابق ,ج4,ص43)

2- انتقال العاصمة من المدينة المنورة الى الكوفة

شهدت الفترة التي اعقبت استشهاد الخليفة عثمان بن عفان (رض) (سنة 36هـ/ 658م) فترة من الاضطرابات والفتن لم تشهد الدولة العربية الاسلامية مثلها سابقا على عهد الرسول (ص) وبالخلفاء الراشدين (رض).

كان من بين نتائجها استغلال الجيش والتيارات القبلية تلك الظروف وفرض هيمنتها العسكرية على المدينة واصبح الجند صناع القرار في الدولة ويتضح ذلك من كلام الجند مع الخليفة علي بن ابي طالب (رض) بقولهم:- ياابا الحسن انا قد بايعناك على ان عملت فينا كما فعل عثمان قتلناك , قال علي : اللهم فنعم (ابن اعثم :)

وهذا يعني انهم قد طالبوا الخليفة علي (رض) بان يغير السياسة التي اتبعها الخليفة عثمان (رض) والتي لخصها اليعقوبي (اليعقوبي: ج2,ص193) بقوله: (في عهد عثمان بن عفان (رض) حدث تطور مهم بالنسبة لبيت المال فهو لم يقم نفسه في مال الله وفي المسلمين مقام الوصي في مال اليتيم كما فعل ابو بكر وعمر (رض) لذا لابد للامام علي (رض) من اتباع سياسة جديدة تعمل على تهدئة الاوضاع واعادة النظر بالامور التي كانت سببا لنقمة اهل الامصار على الخليفة السابق.

ازاء هذا الوضع من جهة ومن جهة اخرى ظهور الدعوات التي تطالب بدم الخليفة المقتول ومحاسبة الجناة وفيها دعوة طلحة والزبير والسيدة عائشة التي انتهت بموقعة الجمل ودعوة معاوية اهل الشام والتي كان من نتائجها حدوث موقعة صفين التي لم يحسم امرها.

على ان رفض اهل الشام ووالياها معاوية بن ابي سفيان اعطاء البيعة للخليفة على بن ابي طالب (رض) واعلانهم المطالبة بدم الخليفة المقتول وتشددهم في الامر وعلى راسهم معاوية (اليعقوبي: مصدر سابق , ج2, ص179) الذي اتخذ قضية المطالبة بدم عثمان

وسيلة شرعية له امام ماحصل في الشام للخروج على طاعة الخلافة . ثم الت احداث موقعة الجمل (*) التي حدثت بعد نقض طلحة والزبير بيعتهما للخليفة على بن ابي طالب(رض) وانتقالهما مع السيدة عائشة (رض) الى البصرة للمطالبة بدم الخليفة المقتول وتحريض الناس على الخليفة (رض) انتهت الامور بانتصار الخليفة علي بن ابي طالب (رض) وقتل طلحة والزبير , (الطبري: مصدر سابق, ج4,ص451) بعد هذه الاحداث راى الخليفة علي (رض) ان ينتقل بالعاصمة من المدينة المنورة الى الكوفة لاعتقاده بولاء اهلها له , فاتخذها عاصمة سنة 36هـ/657م(الدينوري:ص152) وكان لهذا القرار اسباب سياسية واقتصادية وعسكرية ودينية فالكوفة احد المصرين الذين تم انشائهما في السواد على عهد عمر (رض) وكانت قاعدة رئيسة لانطلاق الجيوش المتوجهة للتحرير والفتوح فكان اختيار الخليفة الكوفة حاضرة بدلا من المدينة وذلك لكونها احد مراكز الجيش الذي هو اساس قوة الامة ووجودها فلا تقم دولة ليس لها جيش , فضلا عن ان اهل الكوفة كانوا مؤازرين للخليفة منذ توليه الخلافة (الطبري: مصدر سابق , ج4,ص446)

وعندما علم الانصار بقرار الخليفة علي بن ابي طالب(رض) اجتمعوا للمناقشة في امر انتقال حاضرة الخلافة لان ذلك من شانه ان يضعف مركز المدينة المنورة سياسيا ويفقدها المركز الذي ثبته رسول الله (ص) والخلفاء من بعده بجعلها حاضرة للدولة العربية الاسلامية لها دور كبير في صنع القرارات السياسية باعتبارها الدولة العربية فكان لهذا الانتقال من شانه ان يضعف دورها سياسيا واقتصاديا .

وفي هذا الصدد يذكر ان الانصار وبعض الصحابة دخلوا على الخليفة فتكلم عقبة بن عامر (*) وكان بدريا فقال: ياامير المومنين ان الذي يفوتك من الصلاة في مسجد رسول الله (ص) والسعي بين قبته ومنبره اعظم مما ترجوا من العراق فكأنك انما تسير لحرب الشام ,فقد اقام فينا عمر وكفاه سعد زحف القادسية وابو موسى زحف الاهواز وليس من هولاء

الا ومثله معك, والرجال اشباه والايام دول , فقال الامام علي (رض) : ان الاموال والرجال بالعراق ولاهل الشام وثبة احب ان اكون قريبا منها (الدينوري: مصدر سابق,ص143)

من نص الحوار نجد ان من اسباب الانتقال العاملين السياسي والاقتصادي , اذ ان السواد معروف بخصوبته وكثرة موارده وهذا يعني ان الخليفة علي (رض) اراد ان يكون على اطلاع كامل على الاوضاع والاحداث التي كانت تحدث فضلا عن السبب الديني وهو المنزلة النفسية التي تتمتع بها الكوفة حيث قال عنها الخليفة عمر بن الخطاب (رض) : الكوفة قبة الاسلام وكنز الايمان وجماجم العرب ورمح الله الاطول وبهم يدق الله عز وجل اجنحة المنافقين .(ابن اعثم , مصدر سابق, ج1,ص288) وكذلك ذكرها الخليفة علي (رض) في حديثه عن مسجد الكوفة حيث قال : لو يعلم الناس ما فيه من الفضائل لاتوه ولو حبوا(ابن اعثم , المصدر السابق , ج1, ص288) كما قال عليه السلام : يايها الناس لا تسبوا الكوفة فان بها مصابيح الهدى وعمار الذكرى فيهم يدق الله عز وجل جناح كل فاجر وكافر في اخر الزمان (ابن اعثم: المصدر نفسه, ج1, ص288)

وبالتالي فان هذا التشابه بين قولي الخليفة عمر والخليفة علي (رضي الله عنهما) يزيد من منزلة الكوفة في نظر المسلمين.

وبذلك يتضح ان لاختيار الكوفة عاصمة جديدة للدولة الاسلامية كان لها اسباب عديدة منها:(الماجدي: 2002,ص42)

1-توسيع رقعة الدولة الاسلامية , ولا بد ان تكون العاصمة الادارية والسياسية للدولة في موقع يعين القيادة للتحرك نحو جميع الاتجاهات , وموقع الكوفة مناسب جدا لذلك.

2-تقع الكوفة في تماس مع ولاية الشام التي لم تعطي البيعة والخلافة بعد , فوجدوه في الكوفة مناسب لقمع أي تمرد من أي جهة , وللتهيئة السريعة امام أي اعتداء محتمل .

3–ان الثقل االاكبر من الذين وقفوا مع الامام علي(رض) في القضاء على فتنة الجمل هم كبار شخصيات العراق ووجهاء الكوفة فكان يرى فيهم قادة صالحة للمجتمع الاسلامي السليم والقوي بامكانه ان يسير بهم الى غد افضل .

4–لان الظروف السياسية المتوترة والناجمة عن مقتل الخليفة عثمان (رض) جعلت الامام علي (رض) ينتقل الى الكوفة لبعد الفتن والانشقاقات والخلافات عن المدينة المنورة من جهة والعمل على تحقيق الاستقرار من جهة اخرى .

الخاتمة

1–تبين من خلال البحث ان الكوفة اعتمدت على عوامل عديدة ساعدة على نموها وتطورها اقتصاديا وامنيا ,فضلا عن ان العامل الجغرافي كان له الدور الاكبر حيث القرب من مصادر المياه وكذلك جودت الارض وصفاء ونقاوة الجو فضلا عن عوامل اخرى سياسية واقتصادية او بشرية اسهمت في الازدهار.

2–شكلت الكوفة مصدر قوة في معظم الاوقات فضلا عن انها اصبحت بعد مدة وجيزة عاصمة الدولة الاسلامية في العصر الراشدي معتمدة على ما تمده من الموارد الزراعية والصناعية حيث كانت الكوفة من المراكز الكبيرة في ارض السواد المتخصصة لانتاج المحاصيل الزراعية ذات الاستهلاك والاستخدام اليومي للسكان .

هذا فضلا عن ما شهدته من تطور ونمو صناعي كان يعود الفضل فيه لوجود المواد الاولية التي ساعدت ازدهارها وتطور القائمين بها.

3–تراكمت لدى الخليفة وولاة الكوفة خبرات قيادية عسكرية فائقة الامر الذي جعلهم يولون الامن العسكري للكوفة اهمية كبيرة نابعة من كونها اساس لاستقرار وطمانينة كل تجمع من

خلال محاربة الفساد والجور , او من خلال حفظ الامن والنظام في اوقات الفتن والاضطرابات السياسية التي تتعرض لها.

4-اتبع الخليفة ومعظم الولاة القائمين على الكوفة في عصور الخلافة الاسلامية (الراشدي,الاموي,العباسي)سياسة اتضحت معالمها وذلك في مختلف جوانب الحياة لعل ابرزها تفعيل كل السبل التي من شانها النهوض بالواقع الاقتصادي في الكوفة,فجاء اهتمامهم بالمرافق الاقتصادية الداعمة للنشاط الزراعي والصناعي والتجاري عن طريق استصلاح الاراضي الزراعية وتنفيذ سياسة اقطاع الاراضي للخاصة والعامة ضمانا لاستثمارها زراعيا , هذا فضلا عن حفر الانهار وشق القنوات والجداول اللازمة لتوفير الموارد المائية لقيام النشاط الزراعي على افضل وجه.

وكذلك لضبط الفعاليات الاقتصادية ,وما عنايتهم واهتمامهم بالطرق البرية والنهرية وبناء الجسور والقناطر الا بقصد تسهيل عملية التبادل التجاري مع المدن الاخرى.

قائمـــــــــــــــــــــة المصادر

الابشيهي: شهاب الدين محمد بن احمد(ت850هـ/1446م) ، المستطرف في كل فن مستظرف ,تحقيق: عبد اللطيف سامر,دار احياء التراث العربي,(بيروت, لا.ت)

- **ابن أعثم: ابو محمد احمد بن اعثم الكوفي، (ت314هـ/926م)**، الفتوح، دار العلم للملايين، (بيروت،1976).

-البغدادي: صفي الدين بن عبد المومن بن عبد الحق(ت 739هـ/1338م)، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ,تحقيق: علي محمد البجاوي, دار الجيل (بيرت, 1992)

-البكري:ابو عبيد الله بن عبد العزيز الاندلسي (ت487هـ/1049م)، معجم ماستعجم من اسماء البلاد والاماكن ,تحقيق: مصطفى السقا,مطبعة لجنة التاليف والترجمة .(القاهرة,1984)

-البلاذري: ابو العباس احمد بن يحيى (ت279هـ/892م) فتوح البلدان , تحقيق: عبد انيس الطباع ,موسسة المعرفة ,(بيروت, 1987).

-الحموي:شهاب الدين بن ابي عبد الله الرومي البغدادي(ت626هـ/1228م)

6 -معجم البلدان , دار صادر ,(بيروت ,1977)

الحميري:محمد بن عبد المنعم (ت900هـ/1494م)

7-الروض المعطار في خبر الاقطار , مكتبة لبنان ,(بيروت,1979)

-ابن حوقل: ابو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت367هـ/1977)

8-صورة الارض ,منشورا ت مكتبة الحياة ,(بيروت .1992)

-ابن خرداذابة:ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت530هـ/1049م)

9-المسالك والممالك ,مطبعة بريل (ليدن ,لا.ت)

-الدينوري: عبد الله بن مسلم (ت276هـ/889م)

10-الشعر والشعراء, دار الحديث(القاهرة,2002)

الدينوري:ابو حنيفة احمد بن داؤد(282هـ/895م)

11-الاخبار الطوال ,طبع وزارة الثقافة والارشاد القومي (لا.م' لا .ت)

-ابن رجب الحنبلي: ابو الفرج عبد الرجمن بن احمد (ت795هـ/1392م)

12-الاستخراج لاحكام الخراج ,دار الكتب العلمية (بيروت,1985)

-ابن رستة:ابو علي احمد بن عمر(ت:اوائل القرن الرابع الهجري)

13-الاعلاق النفيسة ,طبع في ليدن (ليدن,1891)

-ابن سعد:ابو عبد الله محمد بن منيع البصري(ت230هـ/844م)

14- الطبقات الكبرى ,دار صادر (بيروت ,1957)

-الصولي: ابو بكر محمد بن يحيى (ت335هـ/946م)

15-ادب الكتاب ,شرح وتعليق,احمد حسن ,دار الكتب العلمية (بيروت ,1994)

-الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/923م)

16-تاريخ الرسل والملوك ,دار التراث , ط2, (بيروت ,1976)

-ابن عبد البر:ابو عمر بن عبد الله القرطبي(ت463هـ/1070م)

17-الاستيعاب في معرفة الاصحاب , تصحيح: عادل مرشد , دار الاعلام (عمان ,2002)

ابن عبد ربة : ابو شهاب الدين احمد بن محمد (ت327هـ/938م)

18-العقد الفريد ,(القاهرة , 1944)

العسقلاني : احمد بن علي بن حجر (ت852هـ/1448م)

19-الاصابة في تمييز الصحابة, مطبعة السعادة (القاهرة ,1328هـ)

-المقدسي: شمس الدين ابو عبد الله احمد المعروف بالبشاري(ت380هـ/990م)

20-احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم , مكتبة مدبولي ,(القاهرة, لا.ت)

ابن منظور :جمال الدين بن مكرم الانصاي(ت711هـ/1311م)

21-لسان العرب, طبعت دار صادر (بيروت,1956)

-اليعقوبي: اجمد بن يعقوب بن وهب بن واضح (ت292هـ/904م)

22-البلدان:وضع حاشيته: محمد امين صناوي, دار الكتب العلمية (بيروت ,2002م)

قائمة المراجع

ابراهيم: ناجية

1-المعايير المميزة للريف والحضر في العصور الاسلامية , مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد ,1988)

-البراقي:حسين احمد

2-تاريخ الكوفة ,دار الاضواء (بيروت,1987)

-الجنابي:كاظم

3-تخطيط مدينة الكوفة عن المصادر التاريخية والاثرية , خاصة في العصر الاموي, تقديم :احمد فكرت,دار الجمهورية (بغداد,1967)

-حسين:عبد الرزاق

4-نشاة مدن العراق ,ساعدت جامعة بغداد على طبعه,(بغداد,1977)

-الزبيدي:محمد حسين

5-الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الاول الهجري, المطبعة العالمية (القاهرة ,1970)

-الشرقي: علي

6-موسوعة الاعلام, تحقيق : موسى الكرباسي.,مطبعة العمال (بغداد ,لا.ت)

-عبد الرزاق:طعمة

7-تاريخ مسجد الكوفة والمراقد المجاورة ,مطبعة نعمان(النجف,1974)

علي: زينب ابراهيم

8-الاحوال الادارية والاقتصادية في ضواحي الكوفة حتى القرن الثاني الهجري ,رسالة ماجستير غير منشورة(بغداد,2012)

العلي:صالح احمد العلي

غنية: يوسف رزق

10-الجيرة والمدينة والمملكة العربية , مطبعة دمكور , (بغداد,1996)

-المرسومي:مصطفى عباس

11-العوامل التاريخية لنشاة المدن العربية ,دار الرشيد ,(بغداد,1982)

-ماسينيون: لويس

12-خطط الكوفة ,تحقيق :كامل سليمان ,ترجمة:تقي الدين محمد المصعبي

-النعيمي:وئام عدنان

13-الاحوال الادرية والاقتصادية في ضواحي الكوفة , مطبعة المثنى , بغداد , 1999

-الفاضلي:حولة عيسى صالح

14-الرقابة المالية والادارية في الدولة العربية الاسلامية ,بيت الحكمة (بغداد,2001)

-مرزوق:محمد عبد العزيز

15-الصناعات الكوفية , مطبعة الجامعة (بغداد,1964)

-الموسومي:عبد الرزاق عباس

16-نشاة المدن وتطورها ,مطبعة الارشاد(بغداد,1977)

-ناجي: عبد الجبار

17-الكوفة ,نشر بيت الحكمة ,(بغداد,1970)